انيسة الاباضي ـ من شعب الخوارج ـ كانوا يقولون : سيبعث نبي من العجم بكتاب يكتب في السماء ـ وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة محمد الى ملة الصابئة (١١) ·وهذا من الاعتقادات الغريبة عند الخوارج الذين عرفوا بتشددهم في الدين وقلة المارقين في صفوفهم · وهناك ميول لدى بعض المتصوفة لترك الظاهر اعتمادا على معرفة الباطن ، اى التحلل من الفرائض اتكالا على استبطانهم لاسرارها واغراضها · وهو نفس الاتجاه الذي اعرب عنه بعض فلاسفة الاسلام كالفارابي وابن رشد ، في تأكيدهم على دور الشريعة كمصدر للفضائل العملية لا يصلح للخاصة من اهل النظر · وقد جاهر بعض المتصوفة في تخطي الشرائع دون ان يعلنوا تخليهم عن الايمان ، كابن سبعين الذين نسب اليه تعليقا على مبدأ خاتم الانبياء (١٢) : لقد حجر ابن آمنة واسعا · وينقل عبد الكريم الجيلي عن ابو الغيث بن جميل : خضنا بحرا وقف الانبياء بساحله· وعن الشيخ عبد القادر الكيلاني : يا معاشر الانبياء اوتيتم اللقب واوتينا ما لم تؤتوه (١٣) · والكيلاني من سلالة اهل البيت وهو محسوب على التصوف السني وله مزار فخم في العراق مقدس عند اهل السنة · وعبد الكريم الجيلي بدوره لا يسجل هذه الشطحات الا لانها تجري على سننه ·

ولنعد الى الشيعة ·

جاء في اصول الكافي عن جعفر الصادق (١٤) :

« ان عندنا لمصحف فاطمة · وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟ مصحف فيه مثل قرانكم هذا ثلاث مرات · والله ما فيه من قرانكم حرف واحد » ·

واصول الكافي هو صحيح الامامية المعادل لصحيحي البخاري ومسلم عند السنة · وقد الف في حياة الامام الثاني عشر المعروفة بالغيبة الصغرى ويقال انه اطلع عليه ووثقه · وهو احتمال مقبول لاحد اعتبارين : مكانة مؤلفه كأحد مراجع الامامية في وقته مما يحمل على توقع اتصاله بالامام المختفي · ومع استبعاد ذلك يجب ان لا نستبعد الاطلاع على الكتاب بواسطة احد الوكلاء ، وهم الوسطاء بينه وبين اتباعه ، اذ من الصعب افتراض عدم معرفته بكتاب من هذا المستوى في حياته · وبناء على ذلك يمكننا اعتماد رواية الكليني لهذا النص موقفا رسميا للامامية اما ان يكون صادرا بالفعل عن جعفر الصادق او معبرا، على الاقل . عن رأي الامام الثاني عشر · وقد ترددت هذه الرواية في المصادر التالية للكليني بصيغ مختلفة مرفوع معظمها الى جعفر الصادق · ويتمتع نص الكليني باهمية مخصوصة في دلالته على موقف شيعي متفرد نخلص منه الى تصور كتاب مغاير لنسخة عثمان كلها : **ما فيه من قرانكم حرف واحد** · وتأخذ هذه الدلالة منحى توكيديا حاسما عبر الصياغة البلاغية للنص حيث نجد : لام التوكيد في خبران ، الاستفهام لغرض التعظيم ، تكرار كلمة مصحف ثلاث